وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد
مركز احياء التراث العلمي العربي

الكتاب النافع

في كيفية تعليم صناعة الطب

لعلي بن رضوان المصري

حققه وعلق على مضامينه
الدكتور كمال السامرائي

طبع على نفقة جامعة بغداد

مطبعة جامعة بغداد
١٩٨٦

محتويات الكتاب

القسم الاول

١ ـ مقدمة المحقق

٢ ـ اهمية الكتاب النافع

٣ ـ سيرة مؤلف الكتاب ابن رضوان المصرى

٤ ـ عصر ابن رضوان ومن زامنه من الاطباء ·

٥ ـ افكار ابن رضوان في تعليم الطب ·

٦ ـ مؤلفات ابن رضوان ·

القسم الثاني

١ ـ التعريف بالكتاب النافع ·

٢ ـ مخطوطة المقالة الاولى من الكتاب النافع ·

٣ ـ مخطوطة المقالة الثانية من الكتاب النافع ·

٤ ـ منهج ابن رضوان في المقالتين الاولى والثانية من الكتاب النافع ·

٥ ـ منهجنا في تحقيق المقالتين الاولى والثانية من الكتاب النافع ·

٦ ـ مضامين المقالة الاولى من الكتاب النافع ·

٧ ـ مضامين المقالة الثانية من الكتاب النافع ·

القسم الثالث

١ ـ نص وتحقيق المقالة الاولى من الكتاب النافع ·

٢ ـ نص وتحقيق المقالة الثانية من الكتاب النافع ·

القسم الاول

١ ـ مقـدمة المحقق ٠

٢ ـ اهمية الكتاب النافع بايجاز ٠

مقـدمة المحقـق

ليس في التراثيات العربية التى وصلتنا مصادر وافية عن طرق تعليم الطب في العصور الاسلامية · والاشارات القليلة الى هذا الموضوع يعثر عليها في تراجم بعض الاطبـاء العرب ، أو في مؤلفاتهم العلمية ، أو تعرف بالقياس على ما كان يمارسه المسلمون في تعليم العلوم الاخرى كالتفسير والحديث وعلوم الحكمة وما الى ذلك من المعارف النظرية · الا ان هذا القياس لا يصح تطبيقه على الطب الا بقدر محدود لسبب غاية في الاهمية ، وهو ان الطب علم تطبيقى ، ويتوجب لتعليمه اتبـاع طرق خاصـة في تدريب المتعلمين على استخدام الملاحظـة والاستفادة منها الوقوف على معرفة الاعراض والعلامات المرضية ، والتمرن على استعمال اليدين ، والادوات المساعدة في الفحص والتداوى ·

وقد عرفت في التراثيات العربية مؤلفات كثيرة بعناوين توحى بان لمضامينها علاقة بتعليم الطب ، الا ان الباحثين لم يعثروا على تلك الكتب ليتوثقوا من حقيقة محتوياتها · وكل ما وصلنا منها هو كتاب شرف الطب وبعض من الكتاب النافع في كيفية تعليم صناعة الطب ، وكلاهما لابن رضوان المصرى · والكتاب النافع هذا بثـلاث مقالات ، لم يعثـر الا على المقالتين الاولى والثانيـة ، ومخطوطتاهما فريدتان لا ثانية لاى منهما ،وقد اصابهما كثير من الخروم بفعل الدويبات وسوء الخزن مما ادى الى انطماس كثير من الكلمات والعبارات في احرج السياقات العلمية التى استطرد فيها المؤلف · كما ان التصحيفات التى صنعها النساخ ، والتغييرات التى شملت تسلسل الصفحات اثناء تجليد المخطوطة جعلت بعض الكلمات والعبارات لا يستقيم سياقها مع ما تقدمها وما تلاها في المخطوطة · ولان في المقالتين معلومات تاريخية وعلمية جد قيمة لانجدها فياى كتاب اخر اسبق في الزمن من هذا الكتاب ،

ولانهما ايضا المصدر الوحيد عن مدرسة الاسكندرية في عهدها الاخير ، لذلك أقدمت على تحقيق ما يمكن تحقيقه من المخطوطتين • وقد اضطررت على ابقاء كثير مما فيها من العيوب الخطية التى لم اتوفق في اصلاحها • وفي رأيي ان ذلك لا يمحو كثيرا من فضائل المخطوطتين • وقد اشرت الى تلك العيوب برموز وضعت لها كشفا بمعانيها ليطلع عليها القارىء قبل الشروع بقراءة متن المخطوطتين •

ولم اكثر ولا أطلت في تراجم الاطباء الذين وردت اسماؤهم في الكتاب باستثناء ابن رضوان المصرى على اعتباره مؤلف هذا الكتاب وعمود البحث فيه • كما تحاشيت ذكر المراجع الاجنبية والحديثة الا ما كان له اهمية خاصة بموضوع التعليم في العصور القديمة ، واكتفيت بذكر بعض مظان المخطوطات في المكتبات العالمية • ولان في ظني ان هذا الكتاب يحتمل ان يقرأه هواة الاطلاع على التراثيات الاسلامية اضافة الى المتضلعين فيها ، لذلك ادخلت في هوامشه التعريف بكل ما ورد في الكتاب من اسماء اشخاص وكتب ، وأدوية ، حتى التى تبدو معروفة لبعض من لا يحتاجون الى التعريف بها • واكثر تلك الهوامش لها علاقة بافكار ابن رضوان•

ولكي أحدد مواضيع هذا الكتاب وأبرزها ، جعلته بخمسة اقسام على حسب ما في محتويات كل منها من تقارب او ترابط في المادة العلمية أو التاريخية • فخصصت القسم الاول في سيرة ابن رضوان والعصر الذى عاش فيه ومن عاصره من الاطباء ، وفي افكاره في تعليم الطب ، واسلوبه في تأليف الكتب الطبية •

وخصصت القسم الثاني للتعريف بنسخة مخطوطة الكتاب النافع بدار الكتب المصرية ، ونسخة جستر بيتى بدبلن : كما استعرضت فيه باختصار منهج ابن رضوان في تأليف الكتاب النافع وما ضمنه في مقالتيه الاولى والثانية • وكرست القسم الثالث لنص المخطوطتين وما ادخلت عليها من تحقيق وتعليق •

وزودت الكتاب بفهرس للاعلام ، وفهرس لاسماء الكتب ، وفهرس عام لاسماء الادوية والامراض وما الى ذلك ٠

ويقتضيني العرفان ان ارفع شكرى الى الاستاذ كوركيس عواد لتفضله باعارتي مصورتي المخطوطتين للمقالة الاولى والثانية من الكتاب النافع اللتين وضعت عليهما هذه الدراسة ٠ كما اشكر أخي الحميم الاستاذ احمد عبد الباقي على مساعدته القيمة بقراءة نص مخطوطة المقالة الاولى والاطلاع على مسودة التحقيق وابداء ملاحظاته القيمة التي اخذت بها بسرور وامتنان ٠ واشكر ايضا الاخ الحبيب الاستاذ الدكتور حسين على محفوظ الذى قرأ الكتاب كخبير تراثي تهيئة لطبعه ٠

ولا أنسى ايضا ان اسجل هنا ودى العميق ودوام محبتي لزوجتي رحمها الله على ما عانته في صبرها على استنساخ مسودة التحقيق ٠ ومن الله الرضى والجزاء الاوفى ٠

الشماسية — الدكتور كمال السامرائي

أهمية الكتـــاب النـــافع

في هذا الكتاب اشارات الى طريقة كل من ابقراط وجالنيوس وحكماء مدرسة الاسكندرية في تعليم الطب ، والى تقنية تعليمه في مصر أيام مؤلف الكتاب ابن رضـــوان • وهى معلومات لا نجـدها موحدة في كتاب تراثى واحد ، ولان اكثر مصادر الكتاب النافع من المفقودات • فلولاه لما المنا بما عرفناه عن المواطن الاولى للفكر الطبى ومراحل تطوره وخط مسيرته نحو المشرق الاسلامى ، ولا عن الحركة الفكرية بين المسلمين في بدء وصول الطب اليونانى اليهم • فالكتاب بكلمة موجزة مصـــدر قيم ان لم يكن الوحيد لتوثيق ما ورد في التراثيات العربية المتأخـرة عن تاريخ الطب والاطباء • وفيما يلى بيان مركز لبعض المعلومات المهمة التى تبرز من بين ثنايا هذا الكتاب القيم وجميعها ليس لها ذكر في غير هذا الكتاب •

١ ـ تدهورت مدرسة الطب في الاسكندرية بعد وفاة جالينوس سنة ٢٠١م حتى القرن الرابع الميلادى • وكثر الاعتماد في تلك العقبة على الكتب المختصرة في تعليم الطب بدلا من كتب التعليم التقليدية الموسعة، كما كثر منتحلوا صناعة الطب ممن ليســوا على علم بها • فاســتأذن بعض حـكماء الاســكندرية من ولاة الامر والنهى فيها لاستحداث مدرسة لتعليم الطب ، ووضعوا للتعليم فيها (جوامع) على كتب من مؤلفات ابقراط وجالينوس •

٢ ـ وضعت جوامع الاسكندرانيين على اربعة كتب لابقراط ، وستة عشر كتاب لجالينوس • ولم يـذكر اى مؤرخ غير ابن رضوان كتب ابقراط في هـذه الجوامع •

٣ ـ جوامع الاسكندرانيين ليست كتبا موجزة في الطب كما يظن لاول وهلة .

بل هي جامعة لكل مضامين الكتب الاصل بتنسيق مبتكر يتفق وتدرج مراحل التعليم في المدرسة ·

٤ ـ كانت طريقة كتابة (الجوامع) وتعليم مضامينها . بالسؤال والجواب . وهي الطريقة ذاتها التي سلكها حنين بن اسحاق العبادي في مؤلفاته في العلوم الطبية ·

٥ ـ يفهم من تاريخ وفاة سرجيوس الراس عيني سنة ٥٣٦م . والذي هو من مدرسة الاسكندرية ـ ان اللقاء بين هذا الحكيم وعمرو بن العاص الذي يردده جميع المؤرخين باستثناء ابن النديم ، هو لقاء مزعوم وليس له نصيب من الصحة · ذلك لان يحيى النحوي بحسب تأريخ وفاة سرجيوس الراس عيني قد توفي قبل ما لا يقل عن نصف قرن من دخول عمرو بن العاص الى الاسكندرية ·

٦ ـ نقل الخليفة عمر بن عبد العزيز تعليم الطب من الاسكندرية الى انطاكية وحران . ومن هاتين الحاضرتين وصل الى بلاد فارس ومن هذه البلاد الى بغداد ·

٧ ـ في الكتاب صورة مفصلة بوضوح لما عاناه ابن رضوان لتعليم صناعة الطب ، ثم صعوده الى اعلى مراتب الاطباء بمصر ، والغرور الذي ركبه لمعارضة أكابر علماء الطب كحنين بن اسحاق وابي بكر الرازي ، وهي صورة مثالية لاخلاقيته في المناقشات العلمية ·

٨ ـ كان على من يطلب تعليم الطب في أيام ابن رضوان وما قبل زمانه ان يتعلم اولا علمي المنطق والهندسة قبل ان يشرع بقراءة كتب الطب ·

٩ ـ كانت طريقة تعليم الطب بمصر أيام ابن رضوان تتكل على قراءة متون الكتب من قبل الطالب وتفسيرها والتعليق عليها من قبل المعلم ·

١٠ ـ كان اول ما يشرع الطالب بقراءته من كتب الطب هو كتاب **الفرق** أو ما يترؤه من كتب الطب الصرفة فهي التي تبحث في موضوع التشريح ·

علي بن رضوان المصري(١)

سيرته :

هو أبو الحسن علي بن رضوان بن علي بن جعفر الطبيب · ولا يعرف عن نسبه اكثر من ذلك · كما لا يعرف فيما اذا كان جده جعفر طبيبا أم ان هذا اللقب الذي الصق باسمه يعود الى صاحب الترجمة عليا · و (علي) باي حال من اطباء العرب البارزين . واشهر اطباء مصر في أيام الخلفاء الفاطميين(٢) وقد تضاربت بحقه آراء المترجمين له . فمنهم من أفرط في الثناء عليه ، ومنهم من اثنى عليه باعتدال لا يخلو من الانتقاص من منزلته العلمية · قال عنه ابن القفطي (وكان من المعلقين لا المحققين ومع هذا تتلمذ له جماعة من الطلبة وأخذوا عنه،وسار ذكره ، وصنف كتبا لم تكن في غاية بابها . بل هي مختطفة ملتصقة مبتكرة مستنبطة) ثم قال (اما تلاميذه فينقلون عنه من التعاليق الطبية والاقاويل النجومية والالفاظ المنطقية ما يضحك ، ان صدق النقلة)(٣) بينما قال ابن القفطي نفسه في مكان اخر (انه كان عالم مصر في اوانه في ايام المستنصرية) (٤) (يقصد أيام المستنصر بالله الفاطمي) أما ابن ابي أصيبعة فقد أسهب في الكلام عنه بتقدير وقال (كان ملازما للاشتغال والنظر في العلم الى ان تميز وصار له الذكر الحسن

والسمعة العظيمة (٥) · وقال عنه ابن تغرى بردى انه كان من كبار الفلاسفة في الاسلام (٦) · امـا ابـن عماد الحنبلى فقال (هو المصرى الفيلسوف صاحب التصانيف ، وكان رأسا في الطب والتنجيم ومن أذكياء زمانه)(٧) · وتتفق هـذه التراجم على ان ابن رضوان من كبار فلاسفة الاسلام واطبائه الاعلام ، كما تتفق مع ترجمته الذاتية بمعالمها البارزة التى قد تكون اصدق الترجمات عموما (٨) · على ان الحـكم على مراتب الاطبـاء وعلو اقدامهم في الصناعة اكثر ما تعتمد على انتاجاتهم في الفكر الطبى والتأليف فيه ، وابن رضوان فارس في هذين الميدانين ·

ولد ابن رضـوان بجيزة القاهرة بحـدود سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٨م ، في بيت متواضع يعمل فيه الاب بصنع الخبز ليعيل اسرته المكونة من زوجته وابنتيه وولده (على) صاحب هذه الترجمة · وبدافع من العوز انتقلت الاسرة الى القاهرة حيث يتوفر العمل والكسب · وكان على حينذاك يناهز العاشرة من عمره · وفي الرابعة عشرة بدأ يتعلم صناعةالتنجيم التى كانت يومئذ رائجةبين المصريين ويؤمنونباحكامها بمتعة وخضوع(٩) ، فتعلمها وصار يمارسها في دكان أحد أصحابه ، ويحصـل من ممارستها ما يسد حاجياته المعاشية · وحين رأى في دلالات النجوم انه سـوف يمتهـن الطب(١٠) ، وهى الاخـرى صـناعة مغرية ومربحة ، التحق حـين ادرك الخامسة عشرة من عمره بحلقة معلمى الطب ، الا انه لم يجـد هذا المعلم يحسـن التعليم فانقطع عنه ، وعد ـ على ما يبدو ـ جميع شيوخ الطب في مصر على هذه الشـاكلة والمسـتوى في العلم والتعليـم · وفضـل ان يقرأ كتب الطب اليونانية بنفسـه بلا معلم،مسترشدا بتوصية جالينوس فيما يبدأ بقراءته من تلك الكتب· كما صار يقرأ ما يقع بين يـديه من كتب الاطباء العرب الذين سبقوه كأبى بكر الرازى وابن سينا · وحين رأى مصادر هذين الطبيبين في المؤلفات اليونانية اقتنى

هذه الكتب وصار يقرؤها بنهم ، ويمارس تطبيق مضامينها على المرضى · ولما بلغ ابن رضـــوان الثانية والثلاثين من عمـــره صار يتقـن ممـارســة هـذه الصناعة بنجاح اضافة الى اعماله في التنجيم في دكان أحد اصحابه ، وبذلك حسنت حالته ورغدت عيشته مما يكسبه من هاتين الصناعتين · ولما اشتهر امره طبيبا ومنجما الحقـه الخليفـة الفاطمي المستنصر بالله (٢٤٧ ـ ٤٨٧هـ/١٠٣٦ ـ ١٠٩٤م) بحاشيته ليكون طبيبه الخاص خلفا لابن نسـطاس(١١) الذى كان قد توفي في تلك الايام ·كما نصبه الخليفة رئيسا على اطباء مصر عموما ·وهكذا تفتحت أمام ابن رضوان ابواب الثروة والجاه والشهرة حتى تجاوزت اخباره كمالم في الطب حـدود مصـــــر ·

وكان ابن رضـوان ذا مروءة سمحا في تعـامله مع الناس ، كريما يسعف المحتاجين ولا يسترد منهم ما يقرضهم من المال · كما كان متدينا بنزعة باطنية ، ويكثر من التعبد في اوقات فراغه من العمل ولا يقرب الخمرة ، وهو عف اللسـان من معايب الناس · وكان من جانب آخر لعوحا في الرد على آراء معاصريه ، وعلى من سبقه من الاطبـاء ايضـا ، وفي ردوده سفاهة وتشنيع من غير تقيـد بالادب المهنى ، وما تفرضه المناقشة العلمية من التساهل والتواضع · وقد تكون نشأته الاولى وما قاسى فيها من ضنك العيش ، وعصاميته التى رفعته من مرتبة بائعى الخبز الى رئاسة اطباء مصر جميعا ـ قد يكون ذلك ما جعله ميالا الى النقـد والقـدح ، والعنف في عرض شكوكه واعتراضاته على انداده ومنافسيه ، كما يحتمل ان تكون بشرته الداكنة وخلو وجهه من الوسامة سببا آخر لتصرفاته غير الحميدة · كذلك يحتمل ان يكون ابن رضوان متأثرا بقدوته جالينوس الذى كان مغرورا بنفسه خشـنا مع زملائه(١٢) مما جعله يدرج على ذلك السـلوك المعيب · وحين التقى ابن بطلان البغدادى(١٣) بابن رضوان في القاهرة لاول مرة ، ورأى وجهه الخالى

من الملاحة سماه تمساح الجن ، ثم هجا خلقته وخلقه نثرا وشعرا ، فاغتاظ ابن رضوان منه وكتب في ذلك ان لا تكون ملاحة الوجه لازمة للطبيب الماهر • كما رد على هجاء ابن بطلان وسجاياه بالذم الشنيع •

والمساجلة الكلامية بين هذين الطبيبين ابرز ما يربط بين شخصيتهما ، ومثال للمناقشات والمنافسات بين علماء ذلك الزمان (١٤) • ولا يذكر ابن رضوان حتى في الزمن الحاضر الا ويذكر معه ولو في البال ، ابن بطلان وبالعكس • فهما ضدان دائما التلاقي في ذكر حياتيهما •

واعتاد ابن رضوان منذ نهض بمزاولة الطب وحتى اخر حياته ، ان تكون اعماله مجدولة ، يوما بعد يوم ، ويطور هذه الجداول بحسب ما تقتضيه الظروف والاحوال وكان لاستقبال تلامذته نصيب في تطبيق هذه الجداول •

ويذكر ان ابن رضوان كان يمارس مهنته على قدر ما يحتاجه لتقويم بيته ومن فيه ، ويرتاح عادة قبل تناول طعامه الذى يختاره بنفسه بما يوافق مزاجه ويحفظ عافيته • كما كان ابن رضـــوان محبا لامتلاك الجـــوارى ، وربما كان له منهن اكثر من زوجة واحدة وكان ذلك بعد ان بلغ الثلاثين من عمره ، وانجب ولدا وعدة بنات توفوا قبل ان يبلغوا عمر الصبا • وكانت أم ابن رضوان قد توفيت بعمر الثلاثين أما أبوه فتوفي في الاربعين أو نحو ذلك •

وكانت نهاية ابن رضوان محزنة ، فقد تبنى صبية يتيمة فسرقت من بيته ما خف حمله وغلا ثمنه واختفت • واذ كان ابن رضوان رثوى البنية ، بلغمى المزاج على ما قاله هو عن نفسه ، فقد تأثر بهذه الخيـــانة ، واضطرب عقـــله على اثرها (١٥) ،وتوفي سنة ٤٥٣هـ/١٠٦١م • وقيل بعد ذلك بسبع سنين أو اكثر • ومن تلاميذه افرايم بن الزفان والبرقاني(١٦) •

عصر ابن رضـوان ومن زامنه من الاطباء :

عاش ابن رضـوان في القاهرة طيلة حياته ، ولم يعرف بتأكيد انه غادرها الى اى مكان خارج مصر • وقد وقعت حياته في منتصف خلافة الفاطميين بمصر بعد انتقالهم من المهدية بتونس الى عاصمتهم القاهرة بمصر في أيام الخليفة المعز لدين الله المتوفي سنة ٣٦٥هـ/٩٧٥م •

وقد (عرف المصريـون بتلك الحقبة بحب الملذات والميـل الى الشـهوات ، والاعتقاد بالخرافات ، فلا يعملون شيئا تافها كان أو مهما الا بعد ان يستشيروا السـحرة والمنجمين(١٧) • ولهذا السبب كثـر في مصر يومذاك من يمارس هاتين الصـناعتين • على ان اكثـرية اولئك المنجمين لا يعرفون من النجـامة الا بعض مصطلحاتها ، ولا يملكون من أدواتها في التطبيق الا (الزايجات) ، وهى جداول فلكيـة تحـاكى الى قـدر مـا الزيـج الذى كان يسـتعمله المنجمـون في المشرق الاسلامى (١٨) •

من جهة اخرى شجع الخلفاء الفاطميون على نشر المعرفة بين طبقات شعوبهم . وعضدوا العلماء واكرموهم ، واستقدموا الى مصر أكابر الاطباء من مختلف الاقطار الاسلامية • كما كان كثير من هذه الفئات تقدم الى مصر سعيا وراء المال أو الحياة بظل الخلفاء والامراء الفاطميين • كما دخلها الاطباء الاندلسيون وهم في طريقهم لاداء فريضة الحج ، فأغرتهم نعم مصر الكثيرة فآثروا الاستقرار فيها ، الا انهم جميعا لم ينجحوا في منافسة ابن رضوان كطبيب ممارس •

وكانت أيام ابن رضوان على منحدر العصر الاسـلامى في المشرق ، الا ان شخصيته العلمية في الطب والتنجيم والفلسفة كانت مع ذلك لامعة ، وطاغية على من زامنه من اطباء الخلفاء الفاطميين ، كما ساعده الحظ للوصول الى هذا المركز المرموق في بلاط الفاطميين اذ اعقب طبيبهم القبطى ابن نسطاس الذى لم يكن له مقام بارز بين زملائه من الممارسين ، ولا ترك كتابا في علوم الطب ، فكان بهذا على طرف نقيض من خـلفه ابن رضـوان ، الكثير الانتاج في تأليف الكتب ، وفي الافكار الطبية المبتكرة •

وكانت مصر على مدى حكم الفاطميين فيها تعج بالاطباء النصارى واليهود

وقد حصلوا بجاه الخلفاء على منازل عالية بين الناس ، ثم فقدوها في أيام ابن رضوان ، فاستفاد هذا ، وهو الطبيب المسلم والفاطمى النزعة من هذ التبدل في سياسة الحكام ضد الذميين فائدة ملحوظة ٠

وزامن ابن رضوان الطبيب البغدادى ابن بطلان الذى وقف خصما عنيدا لافكاره في ممارسة الطب وفي طريقة تعليمه ٠ ورحل ابن بطلان الى مصر وراء الكسب والجاه بظل الخلفاء ، وتقابل مع ابن رضوان وصار النقاش بينهما سجالا وعنيفا في اطار ما اختلفا فيه ، الا ان ابن بطلان لم يكسب جولة علمية على ابن رضوان ، ذلك لانه كان يحارب بسلاح اللغة بينما كان ابن رضوان اكثر علما وموضوعية في ذلك الخصام ٠

وزامن ابن رضوان فيلسوف الاطباء المسلمين أبا على الحسين بن سينا المتوفي سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م ، الا انهما لم يتقابلا ، كما لم يدخل ابن سينا أية حاضرة عربية ، فكان ميدان عمله في بلاد ايران والمشرق ، وعلى هذا لم يكن له تأثير من اى نوع أو درجة على سمعة ابن رضوان في مصر ٠ أما الطبيب العجوز ابو الفرج بن الطيب البغدادى(١٩) المعاصر لكل من ابن سينا وابن رضوان فكان معلما ممتازافي الطب النظرى، ومفسرا قديرا لكثير من المؤلفات اليونانية، وصاحب رأى في الفكر الفلسفى ، فهو في الحقيقة منافس الى حد ما لابن سينا وليس لابن رضوان ٠ أما الجراح اليهودى المعروف باسم : الحقير النافع(٢٠) فكان كسولا قليل الهمة ولم يكن له صيت بين الاطباء الا بعد ان عالج الحاكم بامر الله الفاطمى حين اشتكى من حرح في رجله، فلما برا منه خلع عليه هذا لاسم الغريب ولم يعرف له اسم آخر ٠

وكان في خدمة الحاكم ايضا ومن تلاه من الخلفاء الفاطميين حتى أيام المستنصر بالله المتوفي سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م عدد اخر من الاطباء ، الا انهم جميعا لم يرتفعوا الى مرتبة ابن رضوان في الشهرة وممارسة المهنة ٠

افكار ابن رضوان في تعليم الطب :

تولع ابن رضوان بالبحث في موضوع تعليم الطب واستقصى تأريخه وتطوره منذ أقدم الازمان ٠ وله في ذلك ثلاثة كتب هى :

١ ـ مقالة في مذهب ابقراط في تعليم الطب • ويعتبر هذا الكتاب من المفقودات •

٢ ـ الكتاب النافع في كيفية تعليم صناعة الطب الذى هو قيد التحقيق في هذا الكتاب •

٣ ـ مقالة في شرف الطب (٢١) • والكتابان الاخيران يكمل كل منهما الاخر ، والثاني منهما على صغره شيق وكثير الفائدة •

وقد يكون حرص ابن رضوان على البحث في موضوع تعليم الطب بسبب ما عاناه هو نفسه في تعلم هذه الصناعة ، وما لمسه في مستويات من كان يعلمها • ولما كان ابن رضوان عصاميا في تكوين شخصيته العلمية الناجحة التى اعتمدها على قراءة كتب الطب لا على دروس شيوخه ، فقد دعا الى تعلم هذه الصناعة بالطريقة التى درج هو نفسه عليها•وكانت الدعوة الى هذه الطريقة الغريبة في تعلم الطبأحد اسباب الخلاف الحدى الذى احتدم بينه وبين معاصره ابن بطلان • ورأى ابن رضوان بهذه الطريقة في تعليم الطب خاص بشخصه فلم ينتحلها طبيب جاء قبله أو بعده •

وكان من رأى ابن رضوان وهو غير مصيب به ، ان لا ضرورة للطبيب الممارس ان يتقن علمى اللغة والنحو في العربية ، فالقليل منهما كاف له ولهذا السبب لم يحتفظ ابن رضوان في خزانة كتبه الا بقليل من كتب الادب ، فكانت جل مكتبته من مؤلفات ابقراط وجالينوس ومن كان قريبا من مرتبتهما العلمية كديا سقريدوس المين زربى (٢٢) •وبطليموس القلوذى (٢٣) وابى بكر الرازى (٢٤) •

والغريب ان ابن رضوان لا يرى دراسة صناعة احكام النجوم ضرورية في تعليم الطب ، ولا للطبيب الممارس ، وهو رأى يعارض ما كان متعارفا عليه بين الاطباء في العصور الاسلامية وما قبلها ، وخصوصا في مصر أيام ابن رضوان •

وينقد ابن رضوان كتب الكنانيش (٢٥) والكتب المختصرة الاخرى ، ويعتبرها لا تصلح للتعليم ، ومفسدة للمتعلمين • وينصح بالاعتماد على مؤلفات ابقراط وجالينوس حصرا •

اسـلوب ابن رضـــوان في التأليف بالطب

يبدو مما نشر من مؤلفات ابن رضوان ، وهى قليلة لا تتجاوز ثلاثة كتب ، انه موضوعى حين يكتب ، وتعابيره مقتضبة دون اخلال بالمعنى · وتسلسل تفكيره مستقيم في نطاق الموضوع الواحد ، الا انه كثيرا ما يكرر اللفظ والمعنى في مؤلفاته الواسعة ، وهذا ما نجده بكثرة مملة في كتابه النافع في تعليم صناعة الطب · ولو صح وكان كتاب (كفاية الطبيب) (٢٦) من مؤلفات ابن رضوان وغير منحول عليه كما نعتقد ، لاعتبرناه افضل ما عرفنا من مؤلفاته من حيث الاسلوب والاستطراد العلمي بمادة الموضوع الواحد · وفي الكتاب النافع يبدو ابن رضوان ــ كما في كتبه الاخرى ــ متأثرا بافكار جالينوس الى حد كبير ، وهو يعتبر هذا الطبيب سيد الاطباء علما وسـلوكا ، ومؤلفـاته مثالية لا نقص فيهـا ولا نقض عليها ، ولا يصل الى مستواها مضارع ، وان من لا يحتذى باسلوب واضعها في التأليف فليس طبيبا ماهرا بأية حال ·

ومن فرط اعجاب ابن رضوان واعتماده على افكار جالينوس في الطب ، كان يرجع اليه حتى في أحلامه ، وقد استشاره ذات ليلة في عـلاج صـداع أزمن عليه وافقده الراحة ، فنصحه جالينوس في تلك الرؤيا ان يفصد القمحدوة (٢٧) ليبرأ من شكواه ففصدها حين أصبح وبرأ (٢٨) ·

وابن رضوان يغفل ذكر ابقراط حين يكتب في الطب في المواضيع التى سبق بها هـذا الطبيب خلفـه جالينوس ، الا انه لا ينسى ان يذكرهما معـا اذا اقتضى ما يستوجب الثناء على احدهما ·

ومع ان ابن رضوان لا يرتاح الى المؤلفات الطبية الصغيرة التى وضعت على شكل مختصرات أو شروح أو كنانيش ، فانه مع ذلك قد وضع اكثر من خمسة عشر شرحا وتعليقا على بعض مؤلفات ابقراط وجالينوس ·

ووضع ابن رضوان كتبا في الطب الجغرافي كان منها كتاب دفع مضار الابدان عن ارض مصر(٢٩) ، ومقالة في هواء مصر ، ورسالة في أزمنة الامراض · وهذه